أهل السنة واعتصامهم بالكتاب والسنة :

لقد تبين أن الكتاب والسنة هما الأصل في الاستدلال ، ((وهما المعيار الذي توزن به الآراء والاجتهادات . ولا يستقيم إيمان المرء إلا بتعظيمهما ، وامتثال ما دلا عليه من القول والفعل والاعتقاد)) [١] . ((ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام . فمن رام علم ما حظر عنه علمه ، ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد ، وصافي المعرفة ، وصحيح الإيمان)) [٢] .

قال ابن تيمية رحمه الله : ((وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان: أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه ، ولا ذوقه ولا قياسه ، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم)) [٣] . ((فمن بنى الكلام في العلم – الأصول والفروع – على الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين فقد أصاب طريق النبوة. وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدى الذي كان عليه محمد ﷺ فقد أصاب طريقة النبوة، وهذه طريقة أئمة الهدى)) [٤].

ومما جاء في عقيدة الفرقة الناجية قوله و ((أصحاب الحديث ، حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم ، يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول ﷺ بالرسالة النبوية ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحده في تنزيله ، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ،

---

(١) منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة ، أحمد الصويان دار السليم للنشر ، الرياض ١٤١٩هـ، ط١ ،ص ٣٩ .

(٢) العقيدة الطحاوية ، دار الصميعي للنشر ١٤١٩هـ ، الرياض ، ص ١٠ .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ، ص٢٨ ،

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٠ ، ص ٣٦٣ .

ويثبتون لله جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات المخلوق ، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف)) [1] .

وقد حرص أهل السنة على اتباع ما جاء به نبي الهدى ﷺ فكان لهم النصر وعلو الذكر ، ونشر راية الإسلام والفتح فيما جاور الجزيرة في كل قطر ومصر . ((ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة ، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف : أن خير قرون هذه الأمة – في الأعمال والأقوال ، والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة – : القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه ، وأنهم أفضل الخلق في كل فضيلة : من علم ، وعمل ، وإيمان ، وعقل ، ودين ، وبيان ، وعبادة وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل ، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم)) [2] .

نعم تلك مكانة السنة عند من تلقوها عن رسول الله ﷺ ومن جاء بعدهم ، أولئك السلف الصالح والقدوة الحسنة في العصر الأول والقرون المفضلة ، وما لبث أن جاء أهل البدعة من أصحاب الهوى والكلام فجرحوا السند وطعنوا في المتن .

---

(١) عقيدة الفرقة الناجية ، إعداد عبد الله حجاج ، دار الجيل بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ، ص ٢٩ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ، ص ١٥٧ – ١٥٨. وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٧ ، ص ٣ .

الشيعة والخوارج وموقفهما من النصوص :

وهما الفرقتان اللتان سبقتا إلى الطعن في النصوص وتقديم الهوى والنزعة العقلية على الثابت من وحي الله تعالى ، وكان ذلك بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه وفي زمن خلافة علي رضي الله عنه . وكانت احداهما وهم الخوارج أخف وطأً على النصوص من الأخرى وهم الشيعة الذين شككوا في كتاب الله وطعنوا في رواة حديث رسول الله ﷺ .

فرقة الخوارج :

وهم ((أولئك النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين إذ اعتبر هؤلاء التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر ، ومن ثم طلبوا من علي أن يتوب من هذا الذنب ، وانتهى الأمر بأن خرجوا من معسكره))[١] . وهؤلاء لم " ينغمسوا في رذيلة الكذب على رسول الله ﷺ كما فعل أغمار الشيعة نظراً لصراحتهم وتقواهم وبعدهم عن الأخذ بمبدأ التقية الذي يؤمن به الشيعة ، لكنهم خالفوا فردوا الأحاديث التي خرجت بعد الفتنة"[٢] . " فالخوارج على اختلاف فرقهم يعدلون الصحابة جميعاً قبل الفتنة ثم يكفرون علياً وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوّب الحكمين أو أحدهما[٣] . وبذلك ردوا أحاديث جمهور الصحابة رضي الله عنهم بعد الفتنة ، لرضاهم بالتحكيم واتباعهم أئمة الجور على زعمهم . وقد أدى بهم الإعراض عن سنة رسول الله ﷺ إلى التخبط في شرع الله والإعراض عن منهج الله السوي حتى قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة من المسلمين وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أن الكبيرة تحت مشيئة الله يغفر لمن يشاء سبحانه . فلا يعد صاحبها كافراً ومنهم الأباضية وجماعات التكفير والهجرة في العصر الحاضر[٤].

---

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين . أحمد جلي ، مركز الملك فيصل للبحوث، ١٤٠٦هـ ، ص٣٥ .

(٢) السنة في مواجهة الأباطيل ، محمد طاهر حكيم . رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ / عدد ١٢ ص ٢٧ .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٤٥ .

(٤) الأباضية : فرقة من الخوارج تنتسب إلى عبد الله بن أباض ، تابعي عاصر معاوية رضي الله عنه ، يقولون بقول الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة ن وعدم رؤية الله في الآخرة ، استقر بهم المقام في عمان ولهم هناك دولة وجولة ، وانتهت دولتهم في المغرب قديماً ٢٩٦هـ . انظر فرق معاصرة ، د . غالب عواجي ، ص ٢٤٥ – ٢٥٥ . أما جماعات التكفير أو التكفير والهجرة في العصر الحديث فهم الذين يكفرون الحكام والمحكومين ووصفوا مجتمعاتهم بالكفر وتوصلوا إلى وجوب اعتزالها ومفارقة الجمعة والجماعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد انتشر بين فئة من الشاب في شتى الأقطار الإسلامية ، لأسباب ذكرها المؤلف . انظر التكفير وجذوره ، د . نعيم المسامرائي ، دار المنار ، جدة الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ، ص ١٧٨ وغيرها .

فرقة الشيعة :

وهم الذين ((شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته ، نصاً ووصية أما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وأن خرجت فبظلم يكون من غيره أو تقية من عنده)) [١] ولا شك أن هؤلاء الشيعة كانوا أعظم خطراً على الإسلام وخاصة أن غالبهم وحملة لوائهم ينطلقون من قومية فارسية تفخر بدينها وطقوسها قبل الإسلام بل وينظرون إلى العرب الذين حملوا الإسلام وفتحوا البلدان بأنهم أقل منهم شأناً وأنهم رعاة إبل وأغنام فمكنهم الإسلام من رقاب أولئك .

فما كان منهم إلا أن بثوا حقدهم وسمومهم في كتاب الله أولاً وزعموا أنه قد حرف وأسقطت منه بعض السور وكثير من الآيات التي نزلت في فضائل آل البيت.. وقد ردد هذه الافتراءات في القرآن العديد من علماء الشيعة وعلى رأسهم حجتهم المشهور أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الهالك في سنة ٣٢٩هـ صاحب كتاب الكافي الذي يعتبر في حجيته لدى الشيعة في مرتبة البخاري عند أهل السنة .. ويورد عالم شيعي آخر .. فيقول : المستفاد من الروايات عن طريق آل البيت أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ومنه ما هو مغير محرف ، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي))[٢]. وقد جمع حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي ، أحد مشاهير علمائهم، أقوال الشيعة ومزاعمهم حول القرآن في كتابه المشهور ((فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)) [٣] . جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة في مختلف العصور بأن القرآن زيد فيه ونقص منه . وقد حاول بعض علمائهم قديماً وحديثاً التنصل من تلك المزاعم والرد عليها غير أن حقيقة أقوالهم وأفعالهم جميعاً تثبت المخالفة وتدين أصحابها كما أن كتاب فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسي الهالك في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ((يبين للناس أن

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ، ص ١٤٦ .

(٢) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين د . أحمد جلي ، انظر ص ١٦٤ – ١٦٨ .

(٣) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب . تقديم محمد نصيف ، جده ١٣٨٠هـ . ص ١٠.

الشيعة قاطبة من اليوم الذي وجدوا لم يعتقدوا في القرآن الموجود بأيدي الناس ، بل ظنوه مبدلاً ومحرفاً ، زيد فيه ونقص منه ، غير فيه وحرف منه، ولم يقل أحد من القوم خلاف هذا إلا مماشاة ومداراة أو تقية وخداعاً)) [1] .

إن التاريخ الإسلامي لم يشهد افتراءاً وزوراً وتطاولاً على كتاب الله المنزل مثل ما وقع من الشيعة وتلامذتهم الإسماعلية الباطنية الذي جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً . بل إن تفاسير القرآن عند الشيعة أكبر شاهد على عدوانهم وظلمهم بحق أصحاب رسول الله ﷺ وتحريفهم لمعاني القرآن واختراع أسباب نزول لم يقل بها أحد غيرهم .

وأخيراً فإن تاريخ الشيعة سيبقى مداناً بهجومهم السافر على كتاب الله ما بقي التاريخ وبقيت نحلتهم الضالة . ((ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثا أن القرآن مبدل فيه زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير .. قال أبو محمد القول بأن بين اللوحين تبديلاً كفر صريح وتكذيب لرسول الله ﷺ)) [2].((ويوم كانت أسبانيا تحت سلطان الإسلام كان الإمام أبو محمد بن حزم يتناظر مع قساوستها في نصوص كتبهم ، ويقيم لهم الحجج على تحريفها بل ضياع أصولها ، فكان أولئك القسس يحتجون عليه بأن الشيعة قرروا أن القرآن أيضاً محرف ، فأجابهم ابن حزم بأن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ولا على المسلمين ، لأن الشيعة غير مسلمين)) [3] .

بل إنه ليس بغريب اعتقاد هؤلاء الشيعة بتحريف القرآن والقول بذلك الجرم الشنيع من أجل أن يؤصلوا مسائلهم الفاسدة في العقيدة ، وبدون القول بالتحريف سينكشف أمرهم وتهوي حجتهم ، فعقيدتهم قائمة على أصول فاسدة مخالفة للقرآن والسنة وإجماع سلف الأمة ، فهم يعتقدون أن ((الإمامة داخلة في المعتقدات

---

(١) الشيعة والقرآن ، إحسان إلهي ظهير . ترجمان السنة لاهور ، باكستان ، ط٧ ، ١٤١٥هـ، ص ١١١ ، وانظر البحث ص ١٤ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري ، ج٤ ، ص ١٣٩ .

(٣) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ، ص ١٨ ، ١٩ .

الأساسية يكفر منكرها ويسلم معتقدها .. وجعلوها كالصلاة والزكاة والصوم والحج فهذا محدّثهم الكليني يروي في كتابه الكافي قوله " بني الإسلام على خمس .. والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير .. وهم يعتقدون التحريف في القرآن لغرض آخر وهو إنكار فضل أصحاب رسول الله ﷺ حيث يشهد القرآن على مقامهم السامي وشأنهم العالي .. الذي مدحهم الله تبارك وتعالى في كلامه المجيد فكان عليهم أن لا يقبلوا ذلك الكلام المبين لشيء آخر وهو كونه محفوظاً بمجهودات الصحابة – رضوان الله عليهم .. وحيث أنه ما دام ثبت في القرآن التحريف والتغيير فكيف يمكن العمل به والتقيد بأحكامه)) [1] .

وكما هو معلوم كذب هؤلاء في دين الله وعلى رسول الله ﷺ بالضرورة لكل مسلم آمن بالله ورسوله الذي اكتملت الرسالة في حياته فلا يزيغ عنها إلا ضال مبتدع ، غير أن أولئك الشيعة أستمراوا الكذب حتى جعلوه أصلاً من أصولهم الفاسدة المنحرفة ((فالشيعة عامة جعلوا الكذب شعاراً لهم وأصبغوا عليه صبغة دينية باسم التقية حيث قالوا لا إيمان لمن لا تقية له .ونسبوا هذه الرواية إلي محمد الباقر زوراً وبهتاناً)) [2] .

إن هؤلاء الشيعة يكذبون على الله وعلى الخلق ولا غرابة في هذا فمن كان دينه يقوم على ((اعتقاد الإمامة وعصمة الأئمة ورجعتهم بعد الغيبة واستخدام التقية في الدعوة لهم والقول بمهديتهم ، فقد أدى بهم السعي لتأكيد هذه المعتقدات إلى الطعن في القرآن الكريم والشك في السنة المطهرة وتجريح الصحابة رضوان الله عليهم)) [3] . وعلى هذا فلن تكون السنة بأحسن حال مع هؤلاء من كتاب الله تعالى.

---

(١) الشيعة والسنة إحسان الهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ط ٦ ، سنة ١٤١٥هـ ، . انظر ص ٨٣ ، ٨٤ . ٨٩، ٩٤ ، ٩٩ .

(٢) الشيعة والتشيع ، إحسان الهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، سنة ١٤٠٤هـ ، ص ٧٩ .

(٣) دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين . د . أحمد جلي ، ص ١٢٢.

السنة والشيعة:

طعن الشيعة في جمع القرآن في زمن الخلفاء الراشدين ، بزعم أنه حذف منه سور وآيات ، ثم طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم الذين عاشروا الرسول ﷺ وتلقوا عنه القرآن مشافهةً وفهماً وتفسيراً فهم أعلم بالقرآن وتفسيره وسبب نزول آياته تلقياً عن المصطفى ﷺ . ولم يكتف الشيعة بهذه الطعون بل جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً يفسره علماؤهم وأئمتهم . وبهذا يعلم أن القرآن عند الشيعة أصبح مطوعاً لفهمهم وتأويلهم وتأصيل عقيدتهم الفاسدة فلا خطر من القرآن على تلك النحلة الباطلة والبدعة الضالة.

أما السنة فإنها وأمرها لعظيم على أولئك لأنها تطبيقاً عملياً لحياة المصطفى ﷺ وجهاده وتعليمه وسيرته وقد رواها أصحابه ووثقت في صحاح ومسانيد وسنن ومصنفات ومعاجم ، وليس هناك أمر إلا وعليه دليل من القرآن مبيناً بالسنة ، ولذا كان للشيعة مع السنة موقفاً موحداً وهو ردها والطعن في رواتها ((وطائفة الغلاة منهم ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة ، والاقتصار على القرآن . وهم في ذلك مختلفوا المقاصد . منهم من كان يعتقد أن النبوة لعلي وأن جبريل عليه السلام أخطأ في نزوله على سيد المرسلين ﷺ ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا . ومنهم من أقر للنبي ﷺ بالنبوة ولكن قال : إن الخلافة كانت حقاً لعلي فلما عدل بها الصحابة عنه إلى أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً قال هؤلاء المخذولون لعنهم الله : كفروا حيث جاروا وعدلوا بالحق عن مستحقه وكفّروا – لعنهم الله – علياً رضي الله عنه – أيضاً لعدم طلبه حقه . فبنوا على ذلك ردّ الأحاديث كلها لأنها عندهم بزعمهم من رواية قوم كفار – قال السيوطي رحمه الله – فإنا لله وإنا إليه راجعون. وهذه أراء ما كنت استحل حكايتها لولا ما دعت إليه الضرورة من بيان أصل هذا المذهب الفاسد الذي كان الناس في راحة منه من أعصار)) [1].

---

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للإمام السيوطي ، حققه عبد الرحمن فاخوري ، دار السلام سنة١٣٩٩هـ، ص ١٤٨.

وحيث إنها نحلة قائمة على الكذب ((فليست أهلاً للثقة والاعتماد مع أنهم أكذب الطوائف كلها . قال الشافعي رحمه الله : ما رأيت أشهد بالزور من الرافضة))[1] .

((ونتيجة لهذا لم يهتم الشيعة بصحة الإسناد وتقويم الرجال كما أهتم علماء الحديث من أهل السنة . وفي الوقت الذي رفض الشيعة صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنة المعتمدة الموثقة ، اعتمدوا في أحاديثهم على ما نقله الكليني . الذي سبق أن أوردنا أقواله في القرآن ، واعتبروه حجة ويعتبر كتاب الكافي من أقدم كتب الشيعة في الحديث وأوثقها عندهم علماً بأن جلّ ما في الكافي كما يقول الشيخ أبو زهرة أخبار تنتهي إلى الأئمة .. وأكثر ما يروى في الكافي واقف عند الصادق ، ولا يصح أن نقول أنه يذكر سنداً متصلاً بالنبي ﷺ ..))[2].

((والمعروف أن الحديث عند الشيعة ما نقل عن أحد أئمتهم المعصومين حسب زعمهم الاثني عشر ومن رسول الله ﷺ أيضاً ، فكل ما نقل عن هؤلاء فهو حديث عندهم وهو حجة لأنه منقول عن معصوم وحجة، وما نقل عن الحجة حجة على اليقين ، ثم لا ينظر عندهم في هذا الحديث ما منزلته وشأنه ما دام وجد في الأصول ونقل منها ، والأصول عند القوم الكتب التي ألفها وجمعها أصحاب الأئمة ، فما دام أصحاب الأئمة نقلوا هذه الروايات من الأئمة فإنها لا تحتاج إلى النظر والبحث والتحقيق والتفتيش ، ولا عن السند لأنها من صاحب الإمام ولا عن المتن لأنه من الإمام ، وعقول الناس قاصرة عن إدراك ما يقوله الإمام))[3] .

قال شيخ الإسلام : ((والقوم من أكذب الناس في النقليات . وأجهل الناس في العقليات . ولهذا كانوا عند العلماء أجهل الطوائف ، وقد دخل منهم على الدين من الفساد مالا يحصيه إلا رب العباد ... نحن ننقد رجالنا من أهل السنة والحديث نقداً

---

(١) السنة في مواجهة الأباطيل ، محمد طاهر حكيم ، رابطة العالم الإسلامي ، ١٤٠٢هـ عدد ١٢ ، ص٢٨.

(٢) دراسة عن الفرق ، أحمد جلي . ص ١٧٨ . وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ، دار نهر النيل ، ص ٦٩٧

(٣) الشيعة والتشيع . إحسان إلهي ظهير ، ص ٧٩ .

لا مزيد عليه ، ولنا مصنفات كثيرة جداً في تعديلهم وضعفهم وصدقهم وغلطهم وكذبهم ووهمهم لا نحابيهم أصلاً – مع صلاحهم وعبادتهم – ونسقط الاحتجاج بالرجل منهم لكثرة غلطه وسوء حفظه ولو كان من أولياء الله . وأنتم حد الثقة عندكم أن يكون إمامياً ، سواء غلط أو حفظ أو كذب أو صدق . فغاية رجالكم أن يكونوا مثل رجالنا فيهم وفيهم ، فإذا كان من المعلوم بالاضطرار أن أهل السنة فيهم كذابون وأنتم أكذب منهم بكل حال ، حرم علينا العمل بالأحاديث حتى ننظر في أسانيدها .. وغالب ما في أيديكم صحف وأخبار على ألسنتكم مكذوبة أو لم تعلم صحتها كدأب أهل الكتابين سواء . وكذب الرافضة مما يضرب به المثل)) [1] .

وقد عمد هؤلاء الرافضة في هذا العصر إلى ترقيع مذهبهم وشحذ تقيتهم فقالوا بولاية الفقيه وجوازها حتى يخرج الإمام المنتظر وجواز إقامة الجمعة والجماعة والجهاد[2] بل قالوا إن القرآن كاملاً ، لكن أصولهم ومراجعهم وأقوال أئمتهم تثبت عكس ما قالوا ، ولا غرابة فإن التقية ركن من أركان معتقدهم وكفى بذلك ضلالاً .

السنة والزيدية :

وأما الزيدية فإنهم كأصحابهم الشيعة في عدائهم لأهل السنة ومروياتهم من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ ، فقال أحد علمائهم : ((ولهم – أي لأهل السنة – كتابان يسمونهما بالصحيحين [صحيح البخاري وصحيح مسلم] ولعمري أنهما عن الصحة خلّيان ، ثم قال شعراً :

إذا شئت أن تختار لنفسك مذهباً ينجيك يوم الحشر من لهب النار

فدع عنك قول الشافعي ومالك وحنبل والمروي عن كعب أحبار

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ، لابن تيمية مختصر الحافظ الذهبي بتحقيق محب الدين الخطيب ١٣٧٤هـ ، المكتبة السلفية . ص ١٩ ، ٤٨٠ .

(٢) قال شيخنا: وفي الأصل أن إقامة الجمعة وإعلان الجهاد مرتبطان بوجود الإمام ، وبما أن إمامهم الثاني عشر مختف فهما لا يقامان حتى يخرج من استتاره .

وخذ من ناس قولهم ورواتهـــم روى جدهم عن جبريل عن الباري

وقال آخر : إن كل ما في الأمهات الست لا يحتج به وأنه كذب)) [1]. قـــال أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام : ((والحق أن التشيع كان ملجأ يأوي كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتيه[2] وهندية ، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته ، كـــل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم ..

((واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام، أن الفـــرس كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم إلى أيدي العرب ، وكان العرب عند الفرس أقل الأمـــم خطراً ، تضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة ، فرأوا أن كيـــده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم علي ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى أخرجوهم عن طريق الهـــدى .. والذي أرى – كما يدلنا التاريخ – أن التشيع لعلي بدأ قبل دخـــول الفـــرس فـــي الإسلام ، ولكن بمعنى ساذج ، وهو أن علياً أولى من غيره من وجهتـــين، كفايتـــه الشخصية ، وقرابته للنبي ، والعرب من قديم تفخر بالرياسة وبيت الرياسة .. ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإســـلام مـــن يهوديـــة ونصرانية ومجوسية ، وأن كل قوم من هؤلاء كانوا يصبغون التشيع بصبغة دينهم ، فاليهودية تصبغ الشيعة يهودية ، والنصارى نصرانية ، وهكـــذا ، وإذا كـــان أكبـــر عنصر دخل في الإسلام هو عنصر الفارسي كان أكبر الأثر في التشيع إنمـــا هـــو الفرس .. وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى إلهي ، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته وقالوا : إن طاعة الإمام أول واجب وإن إطاعتـــه طاعة لله)) [3] . ((فالإمام عندهم فوق النصوص الحرفية وكان يعلم الغيـــب فمـــن

---

(١) الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ، دار الفكر المعاصر ، بيـــروت ، الطبعـــة الثالثة ، ١٤١٨هـــ ، ص ٣٣ .

(٢) نسبة إلى زرادشت، كان أول من ملك الأرض ، نزل أرض الهند ، كان يدعو إلى عبادة الله وقال أن النور والظلمة أساس وجود العالم ، وهم ممن لهم شبهة كتاب كالمجوس ، انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١ ، ص ٢٣٦ .

(٣) فجر الإسلام ، أحمد أمين ، ص ٢٧٦ – ٢٧٨ نقلاً عن الشيعة والتشيع ، إحسان إلهي ظهير، ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ .

اتبعه وأطاعه سقطت عنه التكاليف وخلا من المسؤولية)) [١] .

السنة والمعتزلة :

والمعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء[٢] الغزّال الذي اعتزل حلقة الحسن البصري[٣] حين اشتد الجدل حول مصير مرتكب الكبيرة .. قال واصل أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، الأمر الذي أغضب الحسن البصري فطرده)) [٤] وانضم إليه أصحابه الذين التزموا أصولاً خمسة وجعلوا منها عنواناً لكل من يبغي الانتساب إلى مذهبهم ، وهذه المبادئ هي : التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وإثبات الوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) [٥] .

قال شيخ المعتزلة القاضي عبد الجبار[٦] : فأما جملة ما كلف المرء به فيلزمه أن يعرف التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٧]

وقد عدد البغدادي فرق المعتزلة ثم قال : ((يجمعها كلها في بدعتها أمور : منها نفيها كلها صفات الله عز وجل الأزلية .. قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار .. اتفاقهم على القول بحدوث القرآن .. قولهم جميعاً إن الله غير خالق

---

(١) الخوارج والشيعة ، لولهوزن ، ص ١٧٥ ، نقلا عن الشيعة والتشيع ، إحسان إلهي ظهير ، ص ٣٩٩ .

(٢) واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي طرده الحسن من مجلسه واعتزل حلقه الحسن وأصحابه فسموا بالمعتزلة له مؤلف في التوحيد وكتاب المنزلة بين المنزلتين مات سنة ١٣١هـ ، سير أعلام النبلاء ج ٥ . ص ٤٦٤ .

(٣) الحسن البصري أبو سعيد بن أبي الحسن مولى زيد بن ثابت . سيد أهل زمانه علماً وعملاً. سكن المدينة واعتق وتزوج بها في خلافة عمر . حضر الجمعة مع عثمان وسمعه يخطب. شهد يوم الدار وله يومئذ أربع عشرة سنة . عرف بالتدليس . توفي سنة ١١٠هـ . سير أعلام النبلاء ج٤ ، ص ٥٦٣ .

(٤) موقف المعتزلة من السنة النبوية . لأبي أبو لبابة حسين ، دار اللواء ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ / الرياض ص١٠ ، ١١ .

(٥) موقف المعتزلة من السنة النبوية . لأبي أبو لبابة حسين ، دار اللواء ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ ، الرياض ص ٤١ .

(٦) القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني العلامة المتكلم شيخ المعتزلة له كثير من التصانيف منها شرح الأصول الخمسة ، المغني في أبواب التوحيد والعدل . تخرج عليه خلق في الرأي الممقوت ، توفي سنة ٤٥١هـ ، سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٢٤٤ ،

(٧) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ، الأمين الصادق ، مكتبة الرشد ، الرياض ١٤٨هـ ، ج١ ، ص ٩٩ .

لأكساب العباد .. اتفاقهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين ..)) [1] .

ولا شك إن هذه الأصول وغيرها كانت نتيجة اجتهادهم العقلي المتأثر بالفلسفة الوافدة حينذاك مما جعلهم ((يتفقون على أن أصول المعرفة بالله واجبة وضرورية قبل ورود السمع ، وورود التكاليف ألطاف للباري أرسلها للعباد بتوسط الأنبياء امتحاناً واختباراً)) [2] .

إن هذا التقديس لمكانة العقل عند المعتزلة وحصر التشريع في الأعمال ومعرفة الأصول بطريقة العقل قد أدى بهم إلى ((إهمال قدسية النص الصحيح قرآناً وسنة خلية عن الهدى ، وأقاموا العقل حكماً لا ترد كلمته)) [3] .

ولقد غلط هؤلاء العقلانيون بزعمهم لأن العقل الصريح لا يتعارض مع النص الصحيح فإن الذي أمر العباد بعبادته وحده هو الذي أنزل وحيه كتاباً وسنة وأرسل رسله فالواجب تصديق الوحي واتباع الرسول وهذا هو ما يناسب العقل الصريح . ثم إن العقول متباينة الفهم والبيان فإلى من توكل أمور العباد ؟! وهذا لا يرتضيه العقلاء فكيف بحكمة خالق السماء ومنزل الوحي ومرسل الأنبياء ؟!.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله : ((هناك أمران مما يقتضيهما العاقل: أحدهما أن لا يجعل العقل حاكماً بإطلاق وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع .. والثاني: أنه إذا وجد في الشرع أخبار تقتضي ظاهراً آخر من العادة الجارية المعتادة، فلا ينبغي أن يقدم بين يديه الإنكار بإطلاق)) [4] .

والمعتزلة كغيرها من الفرق المبتدعة التي أعرضت عن النص المنزل من الله والوحي المنزل على رسوله ﷺ ، ذلك أن تلك الأصول الخمسة التي اعتمدوها

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ، ج١ ، ص ٤٥ .

(٣) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ، الأمين الصادق ، ج١ ، ص ٧٥ .

(٤) الاعتصام للشاطبي ، تحقيق سليم الهلالي ، دار ابن عفان ، الخبر ، ١٤١٢هـ، ص ٨٤٠.

عقيدة لهم تتعارض مع النص ((ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة ؛ ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ؛ فلا يعتمدون لا على السنة ، ولا على إجماع السلف وآثارهم ؛ وإنما يعتمدون على العقل واللغة ، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير والمأثور والحديث .. وهذه طريقة الملاحدة أيضاً ؛ إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة وكتب الأدب واللغة ، وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون إليها ، هؤلاء يعرضون عن نصوص الأنبياء إذ هي عندهم لا تفيد العلم)) [١] .

((لقد آمن المعتزلة بأصولهم الخمسة ، وما يتفرع عنها من المبادئ والمفاهيم وجعلوا منها قاعدة يخضعون لها كل النصوص سواء كانت قرآنية أو حديثية : فما يعارض مبادئهم من الآيات يؤولونه ، وما يعارضها من الأحاديث يردونه وينكرونه، ولذلك كان موقفهم من الحديث موقف المتشكك في صحته وأحيانا موقف المنكر له لأنهم يحكمون العقل في الحديث لا الحديث في العقل)) [٢] .

وقد أدى بهم هذا الإعراض عن الحديث إلى نفي صفات البارئ وإلى قولهم بخلق القرآن ونفي رؤية الله تعالي لعباده المؤمنين في جنته ونفي القدر .. وإنكارهم لشفاعة[٣] الرسول ﷺ ومعجزاته وتخليدهم صاحب الكبيرة في النار وإنكارهم عذاب القبر)) [٤] وغير ذلك مما هو ثابت في عقيدتهم بل ولازم تلك الأصول الخمسة المقدسة عندهم .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة ابن تيمية القاهرة،ج٧ ، ص ١١٩.

(٢) ضحى الإسلام، لأحمد أمين، النهضة المصرية، الطبعة السابعة ١٣٨٢هـ، ج٣ ، ص ٨٥.

(٣) قال ابن أبي العز في شرحه للطحاوية : والنوع الرابع : شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة .. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة وخالفوا فيما عداها من المقامات مع تواتر الأحاديث فيها " ص ٢٣٢.

(٤) موقف المعتزلة من السنة النبوية أبو لبابة حسين ، دار اللواء ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ الرياض . ص ٤٩ ، وما بعدها.

السنة والأشاعرة :

والأشاعرة طائفة من أهل الكلام ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري[١] الإمام المتكلم المعروف وهذا اللقب ينصرف عند الإطلاق إلى أولئك الذين اتبعوه في فترة انتسابه إلى ابن كلاب[٢] . أما قبل فهو معتزلي بل إمام في الاعتزال .. رجع في آخر أيامه إلى مذهب السلف . فالمنتسبون إلى الأشعري الآن هم أصحاب الطور الثاني)) [٣] الذين كانوا يقارعون المعتزلة المتكلمين بالحجج الكلامية والمنطقية ، ((وعلى الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم إذ الملحدة المبتدعة قد انقرضوا والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما اكتسبوا ودونوا والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه البارئ عن كثير إبهاماته وإطلاقه)) [٤] ،

وحيث إن الأشاعرة يقدمون المعقول على النص لاعتقادهم أن متواتر النص ظني الدلالة فلا يحتجون به ما لم يوافق العقل ، وأما أخبار الآحاد فلا يستدلون بها في المسائل العلمية ((فالقرآن أدلته مختلفة .. ثم إنه خاص بمعرفة الأحكام الشرعية. وأما السنة المتواترة فإنها خاصة بمعرفة الصلوات المفروضة .. وأما أخبار الآحاد فإنها توجب العمل دون العلم بشروط)) [٥] .

وقال بعضهم ((ويشترط للاحتجاج بصحيح المنقول أن يكون قطعياً موافقاً للحجج العقلية ، فمتى توفر هذان الشرطان جاز الاحتجاج به وتكون حجيته تابعة لحجية معقولاتهم التي وصفوها بأنها قطعيات)) [٦] .

---

(١) أبو الحسن الأشعري : علي بن إسماعيل - من ذرية صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى الأشعري - كان معتزلياً وألف كتباً فيه ثم تاب وصعد منبر البصرة متبرئاً ثم اعتقد على طريقة ابن كلاب ثم ألف الإبانة على مذهب أهل السنة والجماعة ت ٣٢٤هـ . سير أعلام النبلاء ، ج ١٥ ، ص ٨٥.

(٢) ابن كلاب : رأس المتكلمين عبد الله بن سعيد بن كلاب صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة اعتقد أن القرآن قائم بالذات بلا قدر ولا مشيئة ت ٢٤٠هـ سير أعلام النبلاء، ج١١ ، ص ٧٤ .

(٣) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة لمحمد الجامي الطبعة الثانية ، دار الفنون للطباعة ، جده ١٤١١هـ ، ص ١٣٩ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٨هـ ، ص ٤٦٧ .

(٥) أصول الدين للبغداي ، استانبول تركيا ١٣٤٦هـ مدرسة الإلهيات ، ص ٢٠٢.

(٦) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لأبي المعالي الجويني ، تحقيق أسعد تميم - مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

بل وزاد بعضهم شروطاً أوصلها إلى عشرة ثم قال : ((وعدم هذه الأشياء مظنون لا معلوم والموقوف على المظنون مظنون ، وإذا ثبت هذا ظهر أن الدلائل النقلية ظنية . وأن العقلية قطعية والظن لا يعارض القطع)) (١) .

وقال الباقلاني : ((فإن قال قائل : فما معنى وصفكم للخبر بأنه خبر واحد ؟ قيل له : أما حقيقة هذه الإضافة في اللغة فإنه خبر واحد وأن الراوي له واحد فقط لا اثنان ولا أكثر من ذلك ؛ غير أن الفقهاء والمتكلمين قد تواطئوا على تسمية كل خبر قصر عن إيجاب العلم بأنه خبر واحد ؛ وسواء عندهم رواه الواحد أو الجماعة التي تزيد عن الواحد .

وهذا الخبر لا يوجب العلم على ما وصفناه أولاً ؛ ولكن يوجب العمل إن كان ناقله عدلاً ولم يعارضه ما هو أقوى منه على حد ما نذهب إليه مما ليس هذا موضع ذكره)) (٢) .

وإذا كان متقدموا علماء الأشاعرة قد سلطوا الظن على المتواتر فلا يفيد يقيناً وكذا خبر الآحاد لا يفيد علماً ، ثم إن الأدلة العقلية قطعية وأن الظن لا يعارض القطع ؛ فإن هذا وغيره قد مهد الطريق لمتأخريهم المعاصرين بالإفصاح والبيان في قولهم " خبر الواحد لا يقبل في شيء من أبواب الدين المأخوذ على المكلفين العلم بها والقطع بها . والعلة في ذلك أنه إذا لم يعلم أن الخبر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبعد من العلم بمضمونه)) (٣) .

ثم قالوا ((وهكذا نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين فلا تثبت به العقيدة ، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد فيه، ويحملون قول من قال أن

---

(١) معالم أصول الدين ، لفخر الدين الرازي . راجعه طه عبد الرؤوف . مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، ص ٢٤ .

(٢) التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، حققه محمود الخضيري ومحمد أبو ريده ، دار الفكر العربي ، ١٣٦٦هـ ، ص ١٦٤ .

(٣) الاستدلال بالظني في العقيدة ، فتحي سليم ، دار البيارق ، بيروت ط الثانية ١٤١٤هـ ، ص ١٢٨ .

خبر الواحد يفيد العلم على أن مراده العلم بمعنى الظن كما ورد ، أو العلم بمعنى وجوب العمل)) [1] . ((وأول ما يجب التنبه له في هذا المقام أن الظنية تلحق بالسنة من جهتي الورود والدلالة : فقد يكون في اتصال الحديث برسول الله ﷺ شبهة فيكون ظني الورود ، وقد يلابس دلالته احتمال فيكون ظني الدلالة وقد يجتمع فيه الأمران)) [2] .

وهنا يصف حالهم ابن القيم رحمه الله مع سنة رسول الله ﷺ فيقول : ((قالوا الأخبار قسمان ، متواتر وآحاد ؛ فالمتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة ، فإن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين ، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات ، والآحاد لا تفيد العلم، فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالي وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ﷺ ، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سمّوها قواطع عقلية وبراهين نقليه وهي في التحقيق﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [3])) [4].

ويقول ابن تيمية رحمه الله : ((الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول فعملوا به .. فهذا يفيد العلم ، ويجزم بأنه صدق ، لأن الأمة تلقته بالقبول تصديقاً وعملاً بموجبه والأمة لا تجتمع على ضلالة)) [5] .

وقد أفرد علماء السنة مصنفات للرد على مقولات علماء الاشاعرة في رد النصوص وتأويلها أو معارضتها بالمعقول أو وصفها بالمجاز ومنهم ابن القيم رحمه الله في كتابه الصواعق المرسلة ثم ذكر ((الطواغيت الأربع التي هدم بها أصحاب

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ، دار الشروق ، القاهرة ط ١٧ سنة ١٤١٧هـ ، ص ٦٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٨ .

(٣) سورة النور ٣٩ .

(٤) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ص ٤٥٤.

(٥) فتاوى شيخ الإسلام ، ج١٨ ، ص ١٦ ؛ وانظر سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٦٦ وقال : حديث غريب ؛ وانظر المستدرك للحاكم ج١ ، ص ٢٠٠ وقال الحاكم : وقد أجمع أهل السنة على هذه القاعدة من قواعد الإسلام وللحديث شواهد .

التأويل الباطل معاقل الدين ، وانتهكوا بها حرمة القرآن ، ومسحوا بها رسوم الإيمان وهي : قولهم إن كلام الله وكلام رسوله أدلة لفظية لا تفيد علماً ولا يحصل منها يقين .

وقولهم : إن آيات الصفات وأحاديث الصفات مجازات لا حقيقة لها.

وقولهم : إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة التي رواها العدول وتلقتها الأمة بالقبول ، لا تفيد العلم ، وغايتها أن تفيد الظن .

وقولهم : إذا تعارض العقل ونصوص الوحي ، أخذنا بالعقل ولم نلتفت للوحي – ثم يقول رحمه الله – فهذه الطواغيت الأربع ، هي التي فعلت بالإسلام ما فعلت ، وهي التي محت رسومه ، وأزالت معالمه ، وهدمت قواعده ، واسقطت حرمة النصوص من القلوب ، ومهدت طريق الطعن فيه لكل زنديق وملحد ، فلا يحتج عليه المحتج بحجة من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ إلا لجأ إلى طاغوت من هذه الطواغيت واعتصم به)) [1].

أما الماتريدية وهم ((طائفة من طوائف أهل الكلام وهم أتباع أبي منصور الماتريدي السمرقندي ت سن ٣٣٣هـ .

ويتفق الماتريدية مع الأشاعرة في معظم الأصول الاعتقادية والخلاف بينهم في ذلك قليل ومحصور)) [2] .

أما الصوفية : المنتسبون إلى لبس الصوف وكان في بداية الأمر عبارة عن الزهد والإنصراف عن الدنيا، ثم أصبح التصوف حركات ومظاهر يفرح بها إبليس حتى ((صدهم عن العلم ، وأراهم أن المقصود العمل ، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم؛ تخبطوا في الظلمات .. ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس .. ثم ما زال الأمر ينمو والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ويتفق بعدهم

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم ، تحقيق د . على الدخيل الله ، دار العاصمة للنشر ، الرياض ، ط٢ سنة ١٤١٢هـ ، ج٢ ، ص ٦٣٢ .

(٢) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ، جابر إدريس ، أضواء السلف ، ١٤١٩هـ ، ج١ ، ص ٤٩ .

عن العلماء، لا بل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم ، حتى سموه العلم الباطن ، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر . فمن هؤلاء من قال بالحلول[١] ومنهم من قال بالاتحاد[٢]" [٣] .

وبهذا يظهر أن الصوفية مجانبة لنصوص الرسالة وعمدتهم حدثني قلبي عن ربي .. ؟! واعتمادهم على أحاديث ضعيفة أو موضوعة كما في الإحياء للغزالي وقوت القلوب للمكي .

كما أنه لا عبرة للخلاف مع الفرق الأخرى لبعدهم عن الأخذ بالسنة .

---

(١) الحلول : هو حلول الخالق – سبحانه – بالمخلوق !! عياذاً بالله . انظر هامش ٣ .

(٢) الاتحاد : هو اتحاد الخالق – عز وجل – بالمخلوق ! وحاشاه . انظر هامش ٣.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي تحقيق علي حسن عبد الحميد، دار ابن الجوزي ١٤١٠هـ، ص ٢١١.

السنة و علم الاستشراق :

تقدم بيان خوض أهل البدع من فرق الأمة الإسلامية في مصدر التشريع الثاني في الإسلام لغرور العقل ومصادمة النقل أو لمسايرة بدع ابتدعوها وجهالات اعتنقوها ثم ما لبث أن ابتلي المسلمون بتحالف اليهود والنصارى فكانت الحروب الصليبية وما تبعها من عداء سافر للإسلام ومصادر التشريع . وقد عجز الغرب الكافر أمام كتاب الله المطهر فأتجه علماؤهم بتوجيه من حكوماتهم ورؤساء الكنيسة فيهم لدراسة السنة بغرض التشكيك وإخضاع النصوص لأفكارهم ومعتقداتهم وتحريف النصوص والإساءة للإسلام فكان الاستشراق : " هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه ولغاته وثقافته ، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي ، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما))[1].

وقد صاحب هذا النهج أمران خطيران لا تزال الأمة الإسلامية تعيش آثار أحدهما وهو الاستعمار الغازي الذي ابتليت الأمة الإسلامية به إلا ما شاء الله . وقد خرج ذلك الاستعمار البغيض مخلفاً آثاراً جمة على البلاد والعباد .

أما الأمر الآخر والأكثر خطورة ولا يزال جاثماً فهو ما اتفق عليه أولئك الغزاة من خلق جسم غريب داخل الأمة الإسلامية مدعوماً بكل قوة وجبروت الغرب ومصانعه وعدده وعتاده ذلك هو الكيان الصهيوني واحتلال المسجد الأقصى وأرض فلسطين .

نعم إن دراسة أولئك المستشرقين لتاريخ الإسلام وعلومه وحضارته كانت مفتاحاً لتلك الهجمات الغازية إلي يومنا هذا . ولا زال علماء الاستشراق يتصدرون منابر جامعات ومعاهد الغرب للتشكيك وإثارة الشبهات وقليل جداً المنصفون منهم .

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ، ص ٣٣ .

وقد صنفت معاجم للسنة لخدمة الاستشراق في المقام الأول غير أن الله هيأها للدارسين من طلاب الإسلام وعلمائه الذين دافعوا عن دينهم وبينوا أغلاط أولئك وخبث نواياهم ((وتهافت شبهاتهم حول مفهوم السنة وتدوينها ، وجهالاتهم حول السند والمتن ومفترياتهم حول الأفعال النبوية شاهد عليهم بأنهم قد فرغوا كل ما في حوزتهم من طعون وأنهم قد انتقلوا من طور الشبهات ، إلى طور الجهالات ، إلى طور المفتريات))[1] وصدق الله العظيم ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [2] .

وإذا كان أولئك القوم قد سُبر غورهم وُرد عليهم ، فإن نابتتهم من أبناء الإسلام لا يزالون يؤدون دورهم كما رسم لهم في الطعن في التشريع الإسلامي الذي يعتمد السنة مصدراً ثانياً له ، ((ولقد مكن الاستشراق الغرب من اتخاذ صنائع وعملاء في البلاد الإسلامية ، بواسطة الجامعات والمدارس التي افتتحتها دول الغرب في الشرق وأشرف على توجيهها مستشرقون ومبشرون ، ولم يكفهم ذلك حتى افتتحوا أقساماً للدراسات الإسلامية والشرقية في جامعاتهم في الغرب وخصوا بالمغريات انتساب الشرقيين في جامعاتهم في الغرب ، وراحوا يمنحون الشهادات العالية))[3]. ((وسقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية وغدت خططها ومناهجها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه وتملية الأيدي الخفية . وغدت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الإسلامية والعلوم العربية تدرس على طريقتها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين ، وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها ، وأي انتكاس أقبح من هذا الانتكاس، أن يتعلم المسلمون دينهم ولغاتهم وفق طرائق

---

(١) المستشرقون والسنة . د سعد المرصفي ، مؤسسة الريان ، بيروت ١٤١٥هـ / ص ٦١.

(٢) سورة الصف آية ٨ -٩ .

(٣) وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين . د . حسن ضياء الدين عتر . دار المكتبي ، دمشق ١٤١٩هـ ، ص٤٢ .

أعدائهم وأعداء دينهم، ووفق دسائسهم وتشويهاتهم وتحويراتهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم. هل يقبل اليهود والنصارى أن يتعلموا أصول دياناتهم وفروعها على أيدي علماء المسلمين، وأن يأخذوا منهم الشهادات لذلك ؟!

فما بال المسلمين يسقطون في هذا الانتكاس المشين ؟ إن الاستعمار المادي أهون من هذا اللون من ألوان الاستعمار الذي وصل إلى القاعدة الكبرى التي تقوم عليها الأمة الإسلامية وهي قاعدة دينها وعلومها .. المتصلة بهذا الدين)) [١] .

((ومما يؤسف له غاية الأسف أن بعض الذين يثقون بكل ما يرد عن الغربيين من آراء ومذاهب قد تلقوا هذه الشبهات والطعون ونسبها بعضهم إلى نفسه زوراً فكان كلابس ثوبي زور والبعض الآخر لم ينتحلها لنفسه ولكنه ارتضاها وجعل من نفسه بوقاً لترددها .. وبعض هؤلاء المتلقفين كانوا أشد من المستشرقين والمبشرين هوى وعصبية وعداء ظاهر للسنة وأهلها وزاد عليهم الإسفاف في العبارة وأتى في تناوله للصحابة رضوان الله عليهم .. بألفاظ نابية عارية من كل أدب ومروءة ، وذلك كما صنع محمود أبو رية في كتابه ((أضواء على السنة المحمدية)) [٢] وليس هناك من ضوء ولكنه ظلام وتبعية الغرب حتى وإن دخلوا جحر الضب الذي ارتوى منه أبو رية وشرب وعلى نهجه سار كثير ممن تتلمذ ودرس في الغرب أو الشرق ولم يحتكم إلى كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ وهذه الطامة الكبرى أن يبتلى الإسلام من داخله وبيد من يدعي الإسلام من أهله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير – الاستشراق – الاستعمار) الدكتور/ عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم ، دمشق ١٤٠٥ه ، ص ٨٨.

(٢) دفاع عن السنة ورد شبة المستشرقين للدكتور/ الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ ، ص ٨

القرآنيون

وهم الذي يقولون : الإسلام هو القرآن وحده . واستدلوا بأمور منها:

((١- قول الله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [١] .

٢ - قول لله تعالي : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [٢]

٣ - لو كانت السنة حجة لأمر النبي ﷺ بكتابتها .

٤ - قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على عدم حجية السنة من ذلك أن الحديث سيفشو عني ...)) [٣] .

وقد أجاب على هذه الدعوى شيخان جليلان بما يغني وينهي القول وذلك أن أهل العلم مجمعون على أن السنة الصحيحة لا تخالف كتاب الله ، قال ابن حزم " ليس في الحديث الذي صح شيء يخالف القرآن . والحديث ثلاثة أقسام : فحديث موافق لما في القرآن فالأخذ به فرض ، وحديث زائد على ما في القرآن فهو مضاف إلى ما في القرآن والأخذ به فرض ، وحديث ضعيف أو موضوع مخالف لما في القرآن فهو مطّرح .. ولا سبيل إلى وجود خبر صحيح مخالف لما في القرآن أصلاً ، وكل خبر شريعة فهو مضاف إلى ما في القرآن أو معطوف عليه أو مفسر لجملته ، مستثني منه مبين لجملته، ولا سبيل إلى وجه ثالث)) [٤] .

((وقصارى القول أن إنكار السنة وحجيتها والإدعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده لا يقول به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة وهو يصادم الواقع ، فإن أحكام الشريعة إنما ثبت أكثرها بالسنة ، وما في القرآن من أحكام إنما هي مجملة وقواعد كلية في الغالب ، وإلا فأين نجد في القرآن أن الصلوات خمس ،

---

(١) سورة الأنعام ٣٨ .

(٢) سورة الحجر آية ٩.

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، المكتب الإسلامي . د. مصطفى السباعي ، ط . الرابعة ١٤٠٥هـ، ص ١٥٣ -١٥٤ وانظر : دفاع عن السنة القسم الثالث د . عبد الغني عبد الخالق ، دار الجيل ، بيروت ١٤١١هـ ، ص ٣٨٧ وما بعدها .

(٤) الإحكام في مسائل الأحكام لابن حزم ج٢، ص ٨٠ -٨١.

وأين نجد ركعات الصلاة ، ومقادير الزكاة ، وتفاصيل شعائر الحج وسائر أحكام المعاملات والعبادات)) [1].

((فلابد من الرجوع إلى الحديث ضرورة ، ولو أن امرءاً قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة ، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل ، وأخرى عند الفجر ، لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم الصلاة . ولا حد للأكثر في ذلك ، وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال)) [2] .

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي . ص ١٦٥.

(٢) الإحكام لابن حزم ، ج٢ ، ص ٧٩ – ٨٠ .